شرح كتاب كشف الشبهات

لفضيلة الشيخ: عبد الكريم الخضير حفظه الله تعالى

اللقاء الأول

جمعية معرفة بالمدينة المنورة
مرخصة من المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي
برقم (٨٠٠)

برنامج ثمرات التابع لجمعية معرفة بالمدينة المنورة
عبر مواقع التواصل الاجتماعي
واتس آب - تلجرام

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنبدأ في هذه الليلة المباركة في شرح كتابٍ في غاية الأهمية للطالِب الموحِّد والمسلم المحقِّق، لاسيما في هذا الظرف الذي نعيشه الذي كثرت فيه الشُّبَه وعمَّت وانتشرت حتى وصلت إلى قعر بيوت عوامِّ المسلمين مع الأسف الشديد من خلال وسائل الإعلام، وأقواها انتشارًا هذه القنوات التي تَبُثُّ السموم ولا يُحْجَب عنها شيء، ولم ينجُ منها إلا من سلَّمَه الله ونجَّاه وهم قِلَّة، فالكثرة الكاثرة -مع الأسف الشديد- تساهلوا وتهاونوا في إدخال هذه الوسائل وفيها من نشر الشُّبَه والسموم ونفث السموم في البيوت حتى سمعنا بعض العوام الذين هم في الأصل على الفطرة لم يقرأوا لم يكتبوا ولا قرأوا ما خُطَّ في الكتب -كما قال الحريري-.

المقصود؛ أن هذا أمر لا يخفى ولذا تأكَّد في حق أهل العلم وطلابه أن يهتموا بمثل هذا الكتاب وأن يعتنوا بكتب الإمام المجدد رحمه الله تعالى بدءًا من الأصول الثلاثة التي أدركنا الناس وهم يلقنونها العوام في المساجد، ومع الأسف أننا من عقود انقرضت هذه السُّنَّة التي هي من أوجب الواجبات على المكلَّف [معرفة الأصول الثلاثة]، وهي التي يُسأَل عنها المسلم في قبره، فإذا لم يتعلمها المسلم ولم يتقنها ويحققها فإنه على خطر عظيم ألا يجيب إذا سئل في قبره من ربك وما

دينك ومن نبيك، بعض الناس يقولها تقليدًا لا يعرف معناها ولا يعمل بمقتضاها، ويُخشى أن يكون ممن يقول [هاه هاه لا أَدْرِي سَمِعْتُ الناسَ يقولونَ فقلت][1] -نسأل الله العافية-.ي

فعلينا أن نُعنى بهذه الكتب، وهذه الأصول وهذه القواعد والضوابط التي يبني عليها طالب العلم ما يحصله من علم مستقبلًا، يعني يُعنى طالب العلم بـ(الأصول الثلاثة) أولًا، ثم (القواعد الأربع)، ثم كتاب (التوحيد)، ثم هذا الكتاب (كشف الشبهات)، وفيه من الشبه التي أزالها وكشفها الإمام المجدد بضع عشرة شبهة.

وهذا الكتاب كان محل عناية فائقة من أهل العلم وهو من أوائل ما طُبِع ضمن مجموعة التوحيد؛ حيث طُبِع في الهند منذ ما يزيد على مائة وعشرين عامًا، ثم كان أوَّل ما عُنِيَ به الملك عبد العزيز بعد ما دخل مكة أن أمر بطبع مجموعة التوحيد وفيها (كشف الشبهات)، من أوائل ما أمر بطبعه بل يمكن أن يقال أنه أول ما أمر بطبعه في مكة المكرمة في مطبعة أم القرى، ثم بعد ذلك أمر بطبعه الملك عبد العزيز في مطبعة المنار، وتولاه الشيخ محمد رشيد رضا ضمن مجموعة التوحيد أيضًا، وتتابع الطبعات مجموعة التوحيد وفي ضمنها هذا الكتاب البالغ الأهمية، ثم طُبِعَ مفردًا بتحقيق مجموعة من أهل العلم منها بتحقيق الشيخ حامد الفقي، وبتحقيق محمد منير الدمشقي في المطبعة المنيرية منذ سبعين عامًا أو أكثر،

---

[1] قطعة من حديث أخرجه النسائي (٢٠٠١)، وأبو داود (٤٧٥٣) وابن ماجه (١٥٤٩) مختصرًا، والإمام أحمد (١٨٥٥٨) باختلاف يسير.

وما زالت العناية بهذا الكتاب في تحقيقه وطبعه وفي شرحه والتعليق عليه.

شرحه جمع من أهل العلم شرحه الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأسبق، وشرحه أيضًا الشيخ عبد العزيز بن باز، وشرحه الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد الرحمن البراك، وجمع من أهل العلم، ومن أطول ما رأيته من الشروح مع أني لم أقرأ فيه لأن الوقت يضيق شرح الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، يعني فيما يزيد على أربعمائة صفحة.

والكتاب لا شك أنه مبني على كتاب التوحيد، يجدر بطالب العلم أن يقرأ كتاب التوحيد ويفهم كتاب التوحيد من خلال الشروح المطبوعة والمسجلة، ثم بعد ذلك يقرأ هذه الشبه التي تورَد على ذلك الكتاب -كتاب التوحيد-.

والكشف الذي عنون به الإمام المجدد لهذا الكتاب الأصل فيه رفع الغطاء عن المغطَّى، فإذا كان الغطاء على الإناء فرَفع هذا الغطاء يسمى كشف.

والشبهات جمع شبهة، وهي ما يشتبه على عموم الناس أو عامة الناس بالحق كما قرر ذلك شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى)، هذه الشبهات إذا ألقيت على العامة اشتبهت بالحق؛ لأن مع مَن يروِّجها أدلة، لكنها أدلة كما هي العادة والشأن عند أهل الأهواء أنهم يأخذون من الأدلة المتشابه، ويتركون المحكم.

هذه الشبهات التي أوردها الإمام المجدد هي على نوع من التوحيد وهو (توحيد العبادة)، وهو الذي

أولاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب جُل اهتمامه؛ لأنه هو الذي فيه الخلاف بين الرسل ومن أرسلوا إليهم، وأما توحيد الربوبية معلوم أنهم يقرون به ويعترفون، كما سيأتي في كلام الشيخ رحمه الله، فإذا كانوا يقرون بتوحيد الربوبية فالأمر الذي يقر به ويعترف به لا يحتاج إلى إثبات، ولا يحتاج إلى عناء في تقريره وإثباته، الذي يحتاج إلى تعب ومعاناة هو الذي تكون فيه الخصومة، وينكر من قِبل الخصم.

على كل حال هذا الكتاب -مثل ما قررنا- يجب على طالب العلم الاعتناء به، وأن يُقرر ويُدرس في المدارس النظامية، وفي المساجد، وفي حلق التعليم، وأن يولَّى عناية فائقة؛ لاسيما وأن الفِطَر بدأت تتغير وأن بعض الناس قد اجتالتهم الشياطين من شياطين الإنس والجن هؤلاء الذين يبثون السموم، وقلت إنها وصلت إلى أعماق البيوت وتأثر بها بعض العامة.

يقول الإمام المجدد رحمه الله تعالى:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم رحمك الله)

بسم الله الرحمن الرحيم بدأ الإمام رحمه الله هذه الرسالة بالبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" اقتداء بالقرآن الكريم، واقتفاء لسنة سيد المرسلين، فالقرآن مبدوء ببسم الله الرحمن الرحيم، والرسول ﷺ يبتدئ كتبه ورسائله بالبسملة، فأول الكتب رسالته و كتابه إلى هرقل عظيم الروم -في أوائل الصحيح- مبدوء بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، وفي الحديث -وإن كان مضعَّف أو فيه ضعف

عند أهل العلم- [كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيهِ ببسمِ اللَّهِ فَهوَ أبترُ][2] وأقوى منه [كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأُ فيهِ بحمد الله فَهوَ - أبتر أو- أقطعُ][3] على كل حال الجمع بينهما حسن، كما جاء في أول القرآن حيث بُدأ بالبسملة والحمدلة، والأحاديث التي مفادها أن البداءة بالبسملة والحمدلة وأن من لا ما لا يُبدَأ فيها فهو أبتر أو أقطع حكم عليها بعض أهل العلم بالضعف بجميع ألفاظها وطرقها، ولا يعني أن البداءة بالبسملة والحمدلة غير مشروعة، بل البداءة بالبسملة في القرآن، وأي شيء أعظم من القرآن؟! وفي سنة سيد الأنام، البسملة مبدوءة بالكتاب، وكذلك الحمدلة بالكتاب، والبسملة مبدوءة بكتبه ﷺ، والحمدلة مبدوءة بخطبه ﷺ، ثم يأتي من يأتي ممن يتأثر ببعض ما يسمع ممن لا علم عنده، يسمع من يضعِّف البداءة بالبسملة والحمدلة في الحديث المرفوع ويغفل عن البداءة بها عمليًّا في الكتاب والسنة ويقول: "كانت الكتب التقليدية تُبدَأ ببسم الله والحمد لله"، لأنه سمع أن الشيخ الألباني ضعف الحديث بجميع طرقه وألفاظه، هل إلى هذا الحد تكون الغفلة؟! ماذا حصَّل هذا من العلم وقد خفي عليه أول صفحة في كتاب الله. "كانت الكتب التقليدية تُبدَأ ببسم الله والحمد لله"، نظيره من سمع من يقول في سجوده: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" لما سلَّم قال له: أتظن أنك في ليلة القدر؟!

---

[2] ذكره العلامة ابن عثيمين بلفظ (أبتر) في تفسيره لسورة ص.

[3] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٢٨)، وأبو داود (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١٨٩٤) باختلاف يسير، وأحمد (٨٧١٢) بنحوه .

ألا تقال إلا ليلة القدر هذه؟! يمكن بعض الناس يصير فهمه سطحي ليس عنده علم راسخ أو فهم صحيح. سمع آخر يقول: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي" قال: هل بلغت الأربعين؟! ينكر عليه! هذا دعاء مطلوب لكل إنسان أن يقوله لكن إذا بلغ الأربعين فما زاد يتعيَّن في حقه مثل هذا، وإذا وصل إلى الستين فقد أعذر الله لامرئ بلَّغه الستين، لكن لا يعني أن من دون ذلك لا يقول مثل هذه الأدعية الشرعية المنصوصة في الكتاب والسنة، لكنه الجهل.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أظن أننا لسنا بحاجة إلى أن نشرح البسملة؛ لأنها مشروحة في بداية كل فن وفي كل كتاب ومعروفة.

الجار والمجرور -كما يقول أهل العلم-: متعلق بمحذوف، تقديره (أؤلف مستعينًا بسم الله الرحمن الرحيم)، و(الله): اسم الجلالة، علَم عليه لا يطلَق على غيره، وهو أعرف المعارف على الإطلاق، هذا هو المقرَّر عند أهل العلم. وإن كان بعضهم يقول: "الضمير أعرف المعارف"، لكن الصحيح أن لفظ الجلالة أعرف المعارف.

ورؤي سيبويه في المنام فقيل له ماذا فعل الله بك فقال: أدخلَني الجنة فقيل له: بِمَ؟ قال: بقولي الله أعرف المعارف[4].

ويختلف أهل العلم في العربية هل لفظ الجلالة (الله) مُشْتَقّ أو جامد؟، بعضهم يقول: أنه جامد إذ

---

[4] اللباب في علوم الكتاب ٢٠/١.

لا يوجَد لفظ قبله يُشْتَقّ منه، ومنهم من يقول أنه مشتق بمعنى أنه على صيغة المشتقات، وأن لهذا اللفظ مادَّة التي هي المصدر، فالمصدر أصل المشتقات كلها. على كل حال هذا مبسوط في موضعه وقرَّرْناه في مناسبات كثيرة فلا نطيل بذكره.

ثم بعد ذلك **(الرحمن الرحيم)**

الرحمن: اسم مختص به جل وعلا. والرحيم: مشترك، فكما يقال على الله جل وعلا الرحيم كما هنا يقال على النبي ﷺ: **(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)**[5]، فهو مشترك لا يُمنع من التسمية به، وكذلك العزيز **(قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ)** [6]، وهكذا، لأن من الأسماء منه ما هو خاص بالله جل وعلا، ومنه ما هو مشترك بينه وبين خلقه ولا تضير التسمية به مثل (الرحيم).

يقول رحمه الله تعالى: **(اعلم رحمك الله)**

هذا للتنبيه (اعلم رحمك الله)، المؤلف رحمه الله يشد انتباه القارئ ويرغبه بإحضار قلبه وفهمه، ويأمره بالعلم **"اعلم"**، و "اعلم": فعل أمر ،من العلم الذي هو ضد الجهل، والعلم في اصطلاحهم ما لا يحتمل النقيض بمعنى أنه مطابِق للواقع مائة بالمائة، ويقابله الجهل الذي هو مخالِف للواقع، فإن كان صاحبه يزعم أنه يعلم وهو جاهل فهذا

---

[5] سورة الأحزاب آية ٤٣.

[6] سورة يوسف آية ٥١.

هو الجهل المركَّب وإن كان لا يزعم ذلك فهذا الجهل البسيط.

وبعد العلم والجهل، الظن الذي هو: الاحتمال الراجح، والوهم: الذي هو الاحتمال المرجوح، والشك الذي هو: الاحتمال المساوي على حد سواء.

والعلم عند أهل العلم منه الضروري ومنه النظري، والضروري كما قال أهل العلم في علوم الحديث وأصول الفقه: (هو ما لا يحتاج إلى نظر ولا استدلال)، يعني أي واحد تقول له ما نصف الاثنين يقول لك واحد سواء كان متعلم أو غير متعلم، نصف العشرة خمسة، حتى العجائز وكبار السن وكل يدرك أن نصف العشرة خمسة، لكن إذا قلت له بأعداد تحتاج إلى حساب ونظر إما بآلة أو بيد على الطريقة المعروفة، هذا علم نظري يحتاج إلى نظر واستدلال، إذا قيل أن السماء فوقنا والأرض تحتنا فكل يعرف هذا، لكن هناك من العلوم التي ثبتت بأدلة قطعية ونتائجها لا تحتمل النقيض تحتاج إلى نظر واستدلال، فإذا قيل ألف وثلاثمائة وواحد وثمانين سبعها كم؟ تحتاج إلى نظر إما تحتاج إلى آلة أو ورقة وقلم وتخطط حتى تعرف، فرق بين أن تقول كم نصف العشرة أو تقول هذا الرقم الذي قلته، فضلاً عن الأرقام المطولة والمعقدة فيها كسور ونحوها.

المقصود، أن هذا تقسيم (العلم) عند أهل العلم: منه ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال ويسمونه الضروري، يصدّق به بل يلتزمه الإنسان من أوِّل

سماعه ويقر به ويعترف مباشرة، لا يحتاج إلى أن يتردد في قبوله، ومنه ما يحتاج إلى نظر واستدلال مثل بعض الأحكام المتفق عليها والتي جاءت بها النصوص القطعية لكنها تخفى على العامة.

(رحمك الله)

المؤلف قد يقول: (رحمك الله) كما هنا وكما في أول الأصول الثلاثة، وقد يقول: (أرشدك الله) كما في مقدمة القواعد الأربع، أرشدك الله فهو يدعو لطالب العلم رحمه الله رحمة واسعة.

(اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة)

التوحيد عند أهل العلم أعم من أن يكون توحيد الألوهية الذي يقرره الشيخ ويدفع عنه هذه الشبهات ويكشفها. الشيخ هنا اعتنى بتوحيد العبادة وعرَّف التوحيد الذي يريد أن يكشف الشبهات عنه، وإلا فالتوحيد أنواع: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية -الذي هنا-، توحيد الأسماء والصفات. هذا التعريف خاص بتوحيد الألوهية: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة؛ لأنه هو الذي بصدد الحديث عنه، وإلا فالشيخ كغيره يقرر أن توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، هذه أمور يعني مقررة وثابتة في قلوب المتعلمين.

(إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وهو دين الرسل)

إفراد الله بحيث لا يصرف شيء من أنواع العبادة إلا له جل وعلا. **(سبحانه وتعالى بالعبادة).**

عبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما له قطبان

انتهى اللقاء